في التحليل النصي للقرآن الكريم: سورة الهمزة أنموذجًا

آية إبراهيم الروابدة*

تاريخ الاستلام 2024/7/14 DOI: https://doi.org /10.47017/33.1.7 تاريخ القبول 2024/10/27

الملخّص

حمل القرآن الكريم رسالة الله العليا إلى عباده عن طريق نص حكيم، ضمّنه بلاغة متفردة فاقت بلاغة الجاهليين الذين ظنّوا أنّ لا أحدَ يمكن أن يدانيهم فيها، فكان القرآن تحدّيًا لهم من خلال نص يمتاز بالتماسك والانسجام والوحدة العضوية، وهذه الوحدة دُرست حديثًا فيما دُعي لسانيات النص، ويسعى هذا البحث لتلمس مواطن وحدة النص القرآنيّ في إحدى سور القرآن الكريم وهي سورة الهمزة، وقد ابتدأ بحديث عن تعريف النص لغة واصطلاحًا، ثم حدد مفهومه عند العرب والغربيين، وانتقل لاستجلاء المعايير النصية السبعة التي حددها علماء النص للقول بوحدة النص وتماسكه. ولعل أبرز النتائج التي توصل إليها البحث تكمن في أنّ سور القرآن لها خصوصية فائقة، فإضافة إلى أنه نص بلاغي فإنه نص متماسك ومنسجم يحوي وحدة نصية حُددت من خلال عدد من المعايير، مع الأخذ بعين الاعتبار الربط بالتفاسير القرآنية وبمبدأ تفسير القرآن بالقرآن لتبيان ذلك الالتحام.

الكلمات المفتاحية: النص، المعايير النصية، لسانيات النص، القرآن الكريم، سورة الهمزة.

المقدّمة

إنّ اللغة العربية بما تمتاز به من سعة مفرداتها وامتيازها بخصيصة الاشتقاق تمكنت من التطور والنماء والتميز عن غيرها من بقية اللغات، ناهيك عن أنها أداة التفكير والتوصيل.

ومهما يكن من أمر فإنّ الإيصال والتأثير هما من أهم خصائص اللغة، أي لغة كانت، بيد أن العربية تمتاز ببلاغة متفردة مما جعل العلماء من عرب وأجانب يوجهون الدراسات الخاصة لها، ولاسيما لغة القرآن الكريم، التي سبرها العلماء وما زالوا يسبرونها فيجدون أنها مُعجزة، ولا يمكن أن تكون لغةً بشريةً على الإطلاق.

ويسعى هذا البحث إلى تبيان شيء من هذا الإعجاز اللغوي القرآني من خلال اتباع منهج لساني ظهر في ستينيات القرن المنصرم عرف باسم لسانيات النص، غايته النظر إلى النص بأكمله دون اجتزاء جمله على حِدة، فلا يُمكن الوصول إلى المعنى المنشود من النص أو الخطاب إلا بالنظر فيه جملة واحدة على أنه كُلّ متماسك لا تشويش فيه ولا اضطراب.

واختار البحث سورة الهمزة لأنها لم تُدرس نصيًا في حدود اطلاعنا، ولقصرها، في محاولة استجلاء خطوات التحليل النصي كلها.

أهمية الدراسة

تتمثل أهمية الدراسة في رفد المكتبة العربية ببحث تطبيقي على نصٍّ قرآنيٍّ وفق منظور اللسانيات النصية الحديثة، التي تُعنى بدراسة النص الكامل الذي يتجاوز حدود الجملة الواحدة، والاهتمام بالجانب الإجرائي للسانيات النصية مقابل الجانب النظري التصوري.

مشكلة الدراسة

ما مدى نجاعة دراسة النص القرآني وفق لسانيات النص، وما المعايير النصية، وكيف يمكننا تطبيق ذلك على نص قرآنيّ كريم.

© جميع الحقوق محفوظة لمجلة أبحاث اليرموك، "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، جامعة اليرموك، 2024.

* باحثة، الأردن.

أهداف الدراسة

إجراء دراسة تطبيقية على النص القرآني وَفق منظور لساني حديث، بغية تأكيد نجاعة اللسانيات النصية في تبيان مظهر من مظاهر انسجام النص القرآني وتماسكه.

فرضيات الدراسة

تفترض الدراسة قابلية دراسة النص القرآني وفق اللسانيات النصية التي تؤكد أن النص الأدبي لا يُفهم إلا بسلسلة منتظمة من الجمل التي يأخذ بعضها برقاب بعض لتؤلف نصًا كاملًا، له رسالة غايتها الأولى إيصال المعنى المُراد على أكمل وجه دون لبس أو تشويش، وذلك وفق معايير داخلية نصية وخارجية غير نصية ارتأتها الدراسة اللسانية النصية.

أسئلة الدراسة

- ما النص؟ وما المعايير النصية؟
- ما أهمية دراسة النص القرآني وفق لسانيات النص؟
- ما النتائج المترتبة وفق تلك الدراسة؟

مصطلحات الدراسة: اللسانيات النصية، التماسك، الانسجام، المقبوليّة، القصديّة، المقاميّة، التّناص، الإعلاميّة.

مجالات الدراسة

النّصّ القرآنيّ، اتّجهت الدراسات اللغوية الحديثة لدراسة النص القرآنيّ، ورأينا أن نتخذ معايير الدراسة اللسانية النصية في دراسته، فهي تحدد معاييرَ للنص، وللمتلقي، وللمنشئ، لتكشف جمالياته وتلاحمه، وهذا البحث ينتمي إلى مجال اللغويات التطبيقية، إذ يقوم بدراسة سورة قرآنية وفق معايير لسانيات النص.

الدراسات السابقة

- كتاب الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، لخليل البطاشي، تناول الباحث في كتابه سورة من القرآن الكريم، وهي سورة الأنعام، لدراسة الترابط النصي في القرآن الكريم، على مستوى الآيات بين السورة، والسورة ككلّ، وعلى مستوى القرآن بأكمله، مبرزًا بذلك أهمية النظرة الكاملة والشمولية للنص بوصفه كلًّا متكاملًا متماسكًا.
- التماسك النصي في القرآن الكريم: دراسة تطبيقية في سور الخواميم لفائزة الموسوي، وقد اختارت الباحثة سور الخواميم مجالًا للوقوف على وسائل التماسك النصي فيها، واشتراك هذه السور في مضامينها ومطالعها، وعنت بالبحث عن العلاقات الرابطة للآيات والسور التي حققت سمة النصية في القرآن الكريم.

التوصيات

توصي الدراسة بتوسيع البحث في الدراسات اللسانية النصية لتشمل دراسة موسّعة للنص القرآني بأكمله دون تخصيص سورة بعينها أو جزء بعينه.

الإضافة العلمية الجديدة لهذه الدراسة

تفترض الدراسة أنّ النّصّ القرآنيّ يُدرس من منظور الدراسات اللسانية النصية دراسة شاملة وواسعة لأن اللسانيات النصية تقول بالوحدة النصية للنص، والنص القرآني هو نص كاملٌ متكامل، لذلك درست سورة غير مدروسة سابقًا بحسب اطلاعنا وفق منظور لسانيات النص.

منهج الدراسة

منهج وصفيّ يحدد المادة اللغوية المدروسة مع الإجراء التحليلي.

أولًا- تعريف النّصّ لغةً واصطلاحًا:

النص لغة: وردت هذه اللّفظة في معجم اللّسان: النّصُّ: رَفعك الشّيءَ، نصّ الحديث ينصّه نصًّا: رفعه. وكلّ ما أُظهر، فقد نُصّ ... ونصّ الرّجل نصًّا إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده ... ومنه قول الفقهاء: نصُّ القرآن ونصُّ السُّنّة أيّ ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام (Ibn Manzoor, 1414).

ففي المعنى اللّغويّ الأصلي هناك ما يدلّ على أنّ النّصّ له علاقة باللغة والكلام والحديث والحوار، سواء كان ذلك في الكلام المكتوب كما في القرآن والسنّة، أم كان في الحوار العاديّ كما أقرّ صاحب اللّسان في الحوار الذي يتضمّن سؤالًا عاديًّا بين رجل وآخر، وهذا السؤال سيتم شفاهًا.

وفي كتاب (أساس البلاغة) للزمخشري (ت 538هـ) نجده يقول في تعريف مادّة (ن ص ص): ومن المجاز: نصّ الحديث إلى صاحبه قال ونصّ الحديث إلى أهله فإنّ الوثيقة في نصّه (Al-Zamakhshari, W.D).

هذا بعض ما جاء به في المجاز؛ إذ لا يهمنا ممّا جاء به بقدر ما تهمّنا هذه الكلمات القلائل التي تشير إلى النّصّ بما هو مقرّر عندنا اليوم، والتي أوردها الزمخشري في كتابه آنذاك.

النص اصطلاحًا: في تعريف هذا المفهوم اصطلاحًا علينا أن نعرض الآراء التي وضّحته وشرحته عند العرب قديمًا، لنجد إن كان هناك أيّ اتّصال بين هذا المصطلح وما يعنيه حديثًا، ثمّ نعرض للتعريفات التي قدمها الغربيّون لكون هذا المصطلح مع العلم الذي أُبرزَ معه ينتمي إليهم وينضوي تحت لواء علومهم، ومحاولة توفيق هذا المصطلح مع ما يعنيه في درسنا بما يتناسب مع طبيعة لغتنا وما أُنتجَ بها من نصوص.

أ- النص عند العرب القدماء:

نبدأ بأهمّ اللغويين الذين عرّفوا هذا المصطلح وهم النّحاة، وقد أخذ جميع النحاة مادّتهم وبنوا عليها أبحاثهم ونظرياتهم من شيخهم سيبويه (ت180هـ) في كتابه الشّهير (الكتاب) الذي كان الحجر الأساس لهذا العلم، وهو في كتابه لم يكن ينظر في اللغة على أنّها نصوص بل على أساس الجُمل، فقد اهتمّ بها في سبيل الحفاظ على القواعد المثالية التي تُبنى بها الجملة العربية وتُؤسّس بها، ولذلك كان التّركيز عنده على بناء الجملة في الكلام، وحدّدها بنوعيها الفعلية والاسمية، يقول في باب المسند والمسند إليه: وهما لا يغني الواحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلّم منه بُدًّا فمن ذلك الاسم المبتدأ وما يُبنى عليه وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك: يذهب عبد الله، فلا بدّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأوّل بدّ من الآخر في الابتداء (Sibawayh, 1988). وكما نرى فإنّ مدار الاهتمام في بداية العلم النحوي كان على الجملة، وإن كان هذا لا يعطينا مفهومًا واضح المعالم عن النّص، ولكنه مع ذلك يعطينا الرؤية الأوّلية العربية للغة ونصوصها.

وعلى خُطا سيبويه اتجه النّحاة في تحديد هذه الجمل وصفاتها في سبيل الحفاظ على هذه البنية المعيارية الصّارمة في تحديدها في كتبهم، ولم يختلفوا كثيرًا عنه في كثير من القواعد، وكذلك لم يختلفوا في تحديد هذه الجملة، فمثلًا ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، في كتابه (مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب) جاء بتعريف للجملة لم يختلف عن الذي أقرّه سيبويه يقول في تعريف الجملة: عبارة عن الفعل وفاعله كـ (قام زيد) والمبتدأ وخبره كـ (زيد قائم) (Al-Ansari, 1985). ولكنّه رغم ذلك يُضيف إليها شيئًا جديدًا، إذ يفصلها عن مصطلح الكلام الذي يُحدّده بأنّه: القول المُفيد بالقصد، والمراد بالمُفيد هو ما يحسن السّكوت عليه (Al-Ansari, 1985). ومع ذلك لم يأتِ بمصطلح النّص أو بما يُقابله، فقط حدّد لنا الجملة وقسمها إلى جملة مُفيدة وغير مُفيدة، ولا بدّ أنّ هذا المعنى يعرفه سيبويه وإن لم يُحدّده في كتابه، لشدّة وضوحه.

هذا فيما يخص النّحاة، أما إذا أردنا أن نكتشف هذا المصطلح أكثر عند غيرهم من اللغويين فلدينا الشريف الجرجاني (ت816هـ) الذي نجد عنده تعريفًا للجملة وتعريفًا للنّصّ. أولًا في تعريفه للجملة لا يخرج عن الذي أقرّه النّحاة، يقول: الجملة عبارة عن مركّب من كلمتين أُسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد كقولك: زيد قائم، أو لم يُفد كقولك: إن يُكرمني، فإنّه جملة لا تُفيد إلا بعد مجيء جوابه فتكون الجملة أعمّ من الكلام مطلقًا (Al-jurjani, 2003).

قد يبدو من هذا النّصّ السّابق الذي اقتبسناه أنّه قد يحمل تفريقًا بين الكلام والجملة ولكنه لا يحمل، فقد ورد تعريفه للكلام في كتابه هذا بقوله: ما تضمّن كلمتين بإسناد (Al-jurjani, 2003) فهو لم يخرج عمّا أوضحناه عن الجملة عند النّحاة، ولكنّه ذكر تعريفًا للنّص في كتابه يقول عنه: ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا، وقيل ما لا يحتمل التأويل (Al-jurjani, 2003). وقد يكون هذا قريبًا إلى مصطلحات الفقهاء والفلاسفة ولكنّه يقرّ بوجود نصّ يؤوّل وربّما يُختلف في تأويله، وما نريد توضيحه هنا هو كيف أتت صورة هذه اللفظة في أذهان العرب القدماء، لا نحاول هنا أن نجرّ هذا المعنى الحديث إلى مقاصد القُدامى في شرحهم هذه اللفظة، ولكن ما لا يمكن إنكاره أنّ هذه اللفظة كانت موجودة عندنا قديمًا وهي ليست بغريبة في معناها اللغوي عمّا هو مقرّر حديثًا، فقد جاءت في سياق الكلام والحديث، وهذا يتضمّن أكثر من مجرّد فهم للجمل أو تحليل وتركيز عليها، بل يهدف إلى ما هو أبعد من ذلك فيها.

والجدير بالذكر أنّ هذه الدراسات اللسانية كان علماء الإسلام قد سبقوا العلماء الغربيين إليها، وإن سموها تسميات غير التي عرفت بها في العصر الحديث. ومن ذلك كتاب السكاكي مفتاح العلوم على سبيل التمثيل لا الحصر؛ إذ يعد أول كتاب لساني عربي، لأنه جعله في ثلاثة علوم هي: الصرف، والنحو، والمعاني والبيان، والحق أن هذه العلوم هي محاور الدرس اللساني نفسها.

ب- النص عند الغربيين:

مصطلح النّصّ عندهم هو (Text)، ومنه جاء فيما بعد في الدراسات اللغوية مصطلح (Text Lingustics).

وقد اختلف الباحثون العرب في ترجمته فمنهم من ترجمه بـ (نحو النّصّ)، وسمّى المقابل له (نحو الجملة) وهو ما كان من جهود النّحويين السّابقين، ومنهم من ترجمه إلى (لسانيات النّصّ)، أو (اللّسانيّات النّصّيّة)، وهو الصّحيح، وسنعتمد في هذا البحث على مصطلح (لسانيات النّصّ).

في البداية كان التّركيز على الجملة في الدّراسات الغربية الأوروبية والأمريكية، فقد درسوا لغويات الجملة وهي ما يُقابل عندنا مصطلح نحو الجملة، وقد كانت هذه الدراسة المنصبّة على الجملة متوزّعةً بين مدرستين لغويتين شهيرتين هما المدرسة البنيوية التي اعتدّت بكتابات دوسوسير ومحاضراته التي جمعها طالباه شارل بالي وألبرت سيشيهي، والمدرسة التوليدية التي أنشأها تشومسكي الأمريكي، وقد ركزت كلتا المدرستين على الجملة في المقام الأوّل (Giffrre, 2017).

وقد امتدّت هذه الدّراسات حتى منتصف السّتينيات من القرن الماضي؛ إذ كانت ولادة لسانيات النّصّ في ألمانيا، وقد كانت هذه الولادة مع ثلاثة مؤلّفات مهمّة هي (Text Texte Klassenvon Texten)، عام (1964)، تأليف (بيتر هيرمان)، والثاني كان بعنوان (Tempuse Besprochene und Erzahlte welt)، عام (1964)، كتبه (هارالد فاينريش)، والأخير كان بعنوان (Harris Discourse)، في (1965)(Giffrre, 2017) .

وكان هارالد فاينريش أهمّ الثلاثة السّابقين بما قدّمه في كتابه من نظريات كان الأساس الذي ارتكزت عليه لسانيات النّصّ فيما بعد، وقد كانت لسانيات النّصّ هذه ردًّا على الدراسات البنيوية والتحويلية والمشكلات التي أثارتها في مناهجها(Giffrre, 2017).

إن كلمة (TEXT)، مأخوذة من كلمة (TEXERE)، اللاتينيّة والتي تعني (النّسيج)، كما جاءت في معجم لاروس العالمي، وهي مناسبة في تطوّرها الدّلاليّ الذي يعبّر الآن عن النّصّ المحكم والمترابط في جمله وعباراته والمُشبه في ذلك النّسيج المترابط في مكوّناته وما يدخل في تركيبه، وقد كان هذا الارتباط والتّماسك جزءًا مهمًّا من الدراسات النّصيّة ولا يزال (Shahin, 2012).

وقد ورد هذا التّعريف في معجم (اللغويات والصّوتيّات) لصاحبه (ديفيد كريستال)، وقد عرّفه بأنّه مصطلح تنظيريّ يستعمل في مجال اللغويات والصّوتيّات ويأتي في فرعٍ لغويٍّ هدفه التحليل والوصف للغة، وهذه النّصوص تدرس على أنّها مكتوبة ومنطوقة (أيّ إنّ النّصّ يُلقى بطريقةٍ ما)، فيظهر لنا على أنّه محادثة أو مونولوجًا أو طقسًا شعائريًا ما وهكذا.

وقد تعدّدت التعريفات الغربيّة لهذا المصطلح بحسب الدراسات والبيئة التي أُنتجت فيها هذه الدّراسات، ولكنّها اشتركت جميعها في التّأكيد على الارتباط بين أجزاء النّصّ المدروس لدينا، ومن هذه التعريفات تعريف برينكر الذي عدّه تتابعًا مترابطًا من الجمل، وهذه الجملة جزء صغير من النّصّ الذي يتكون من بنية معقّدة ومتشابكة من هذه الجمل، وكذلك العلاقة بين هذه الأجزاء والنّصّ ككلّ. وعرّفه هارفج (R. Haweg) بأنّه ترابط مستمرّ للاستبدالات النّحويّة التي تُظهر التّرابط النّحويّ للنّصّ، وعرّفه فاينريش (H. Weinrich) بأنّه تكوين حتميّ يحدّدُ بعضه بعضًا وتستلزم عناصره بعضها بعضًا لفهم الكلّ؛ لأنّ النّصّ كلٌ تترابط أجزاؤه من جهتي التّحديد والاستلزام ويؤدّي الفصل بين هذه الأجزاء إلى عدم وضوح النّصّ، ويؤدّي عزل أو إسقاط عنصرٍ من عناصره إلى عدم تحقيق الفهم (Shahin, 2012).

وعند هاليدي ورقيّة حسن حُدّد بأنّه أيّةُ فقرةٍ مكتوبة أو منطوقة يمكن أن نعدها مهما كان طولها وحدةً متكاملةً. وهذا النّصّ ربّما يكون مكتوبًا وربّما يكون شفهيًا قد يكون نثرًا وقد يكون شعرًا، قد يكون حوارًا عاديًا، أو قد يكون مونولوجًا، قد يكون جملةً نطق بها حكيم ما، وقد يكون نداءً مكرّرًا من أجل المساعدة من قبل لجنةٍ ما. والنّصّ هو وحدة لغوية في استعمالها وهو ليس وحدةً نحويّة كعبارةٍ أو جملةٍ فقط، ولا يمكن تعريفه بالنّظر إلى حجمه، وقد يُرى على أنّه مجموعة من الجمل المتميّزة، على أنّه وحدة نحويّة أكبر من الجملة، وهذه الجملة مرتبطة بأخرى بالطريقة نفسها التي ترتبط بها هذه الجُمل بالفقرة، والفقرة بغيرها وهكذا، وقد زعم الكثيرون بأنّ التّركيبات الكبرى هي التي تحدّد وتوحّد الصّغرى، وهذا خطأ؛ لأنّ النّصّ ليس بأمر يمكن أن يحدّد بأنّه جملة، إلا إذا عدّ على أنّه جملة كبرى، وذلك لأنّه شيءٌ لا يقارن بالجملة. ولذلك من الأفضل أن نعد النّصّ على أنّه وحدة جمل، ليس فقط في الشكل وإنّما أيضًا في المعنى، ولكنّه رغم ذلك هو مرتبط بجمل وفقرات ترتبط ببعضها البعض ليس بالحجم بل عن طريق الواقعية، مصوغ في نظام مرمّز، وهو لا يكمن في الجمل بل يتشكّل بها ويُصاغ من خلالها، وعليه إن فهمناه من هذا المنظور فإنّنا لن نلحظ وجود الادّعاء البنائيّ في أجزاء النّصّ كما لن نجدها في أجزاء الفقرات والجمل، وعليه تكون الوحدة النّصيّة وحدة من نوع مُختلف (Halliday and Hassan, 1976) .

وفي التّعريف الأخير يمكن أن نرى صورةً واضحة لما تعنيه لفظة النّصّ اصطلاحًا، وكيف توضّحت في أذهان الغربيين، مع الارتباط البسيط بالمعنى العربي القديم الذي رأيناه عند بعض العلماء العرب قديمًا، والأمر في تحديد هذا المصطلح عند الغربيين سيأخذ منّا حيّزًا كبيرًا من الحديث والشّرح، وكذلك كيف انتقل إلى الباحثين العرب وكيف فهموه واختلفوا في ترجمته، ولذلك نضطر لأنّ نقف عند هذا التّحديد الأخير؛ لأنّ فيه جوهرَ الدراسات النّصيّة، وكذلك فكرة واضحة عمّا يعنيه النّصّ أمامنا.

ثانيًا- المعايير النّصيّة السّبعة في علم النص:

هي المعايير التي وضعها دي بوجراند في كتابه عن لسانيات النص، والتي اشترط تحقيقها في النّصّ وجعلها الشّروط التي يتحقّقُ النّصّ من خلالها، وهي: [التّماسك، والانسجام، والمقبوليّة، والقصديّة، والمقاميّة، والتّناص، والإعلاميّة] (De bougrand, 1998).

وينبغي أن نُشير ههنا إلى أمر مهمّ وهو أنّ أول مصطلحين وهما [التّماسك/ cohesion/ والانسجام /coherence]، لهما ترجمات عدّة مختلفة اختلفت باختلاف الدّارسين والمُترجمين، فالمصطلح الأوّل وهو (cohesion)، ترجم إلى: (السّبك والتضام والتماسك والربط النّحوي)، والثاني (coherence)، ترجم إلى: (الحبك والانسجام والتماسك والتناسق والاتساق والتقارن)، حتى عند المترجم الواحد مثل سعد مصلوح، فقد ترجم المصطلح الأوّل إلى السّبك والربط النّحوي في كتبه وغيره كثير ممن حذا حذوه (Shahin, 2012).

ثالثًا- سورة الهمزة:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ* الَّذِي جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ* يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ* كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ* نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ* الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ* إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ* فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ*[الهمزة: 1-9]. صدق الله العظيم.

سمّيت هذه السّورة تسميات عدة منها (سورة ويلٌ للهمزة)، وقيل فيها (سورة الحُطمة)؛ لوقوع هذه الكلمة فيها، وقد أكد السيوطي أن أسماء السور ثبتت بالتوقيف من الأحاديث والآثار (Al-Suyuti, 1974)، وكذلك رجّح الزركشي أن أسماء السور توقيفي (Al-Zarkashi, 1957)، وهي سورةٌ مكّيّة بالاتّفاق، وكان نزولها بعد نزول سورة القيامة (Ibn Ashur, 1984).

رابعًا- تحليل السّورة في ضوء المعايير النّصيّة السّبعة:

المعيار الأول- التّماسك (Cohesion):

يتضمّن التماسك الإجراءات التي تبدو فيها العناصر السطحيّة على صورة وقائع يؤدّي السّابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقّق منها الترابط الرّصفيّ، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط، ووسائل التّضامّ تشتمل على هيئة نحويّة للمركبات والتّراكيب والجُمل وعلى أمور مثل التّكرار والألفاظ الكنائيّة والأدوات والإحالة المُشتركة والحذف والرّوابط. (De bougrand, 1998)

وطرائق التّماسك نوعان:

- نحوي: يشمل (الإحالة الخارجية والدّاخلية، والاستبدال، والحذف، والتّوابع).
- وآخر معجميّ: يشتمل على (التّكرار، والتّضام أو المصاحبة اللغويّة) (Nofal, 2014).

أ- الإحالة:

الإحالة الخارجيّة تعني السّياق الخارجيّ يحيلنا الكلام في النّصّ إلى ما هو خارجه مما يتناسب مع المقام الذي قيل فيه النّصّ، أي الظروف المحيطة بالنّصّ، وهي تتصل ههنا بسبب نزول هذه السّورة، وقد عدنا إلى كتاب أسباب النزول للواحدي، فهو من أوائل من كتب في أسباب النزول من العلماء، فلم نجد لها سببًا مذكورًا، على حين إنّ السيوطي جمع ما قيل في سبب نزولها من كتب التّفاسير، وأكّد في مقدمة كتابه أنه استدرك على الواحدي ما لم يذكره الواحدي نفسه في كتابه، فذكر السيوطي أنّها نزلت في جماعة من المشركين كانوا يغتابون النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ويشتمونه، واختُلف في أسمائهم، فقيل نزلت في (أمية بن خلف)، وقيل في (الأخنس بن شريق) وقيل نزلت في رجل من أهل الرقة هو (جميل بن معمر)، والأول والثاني من سادة قريش وزعمائها (Al-Suyuti, 2004). وقد قيل بأنّ النّزول كان من أجل عامّة المسلمين كي لا يقوم أحدٌ منهم بهذا الفعل الشّائن (Ibn Ashur, 1984).

وبما أنّ السّورة مكية بإجماع العلماء؛ فلعل السّبب الأوّل أنسب في تحرير سبب نزولها وترجيحه، وذلك لمناسبته للمقام والحال، على أننا لا نلغي السّبب الثاني، فكما كان النّزول وعيدًا للمشركين بما سيحلّ بهم جزاء فعلهم برسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- في ذلك الزمن الذي نزلت فيه الآية، فإنّ ذلك بالتّأكيد يعني عموم اللفظ للأزمنة القادمة لا خصوص السبب (Al-Razi، 1420).

ومن الإحالة الخارجيّة أيضًا عود الضمائر على الحال والمقام الذي قيل فيه النّص، وبذلك يرتبط النّصّ بما هو خارج عن محتواه، ويتفاعل معه، وهو ليس مقصورًا على الضّمائر فقط، بل في مطلق الألفاظ التي يمكن أن تدلّ على ما هو خارج النّصّ، لدينا هنا مثلًا قوله تعالى: (وما أدراك ما الحُطمة)، فالضمير في (أدراك)، يعود على المُخاطب في النّصّ القرآنيّ، وهو النّبيّ محمّد -عليه أفضل الصّلاة وأتمّ السّلام-، وذلك لأنّ الآية نزلت في المشركين السّاخرين منه -صلّى الله عليه

وسلم- وبيّنت صفاتهم ومعايبهم، وكلّ ذلك في إطار الوعيد والتّهديد لهم والجزاء والمصير الذين سيؤولون إليه في النّهاية، ولذلك كان السّياق في العرض هنا في هذه الآيّة سياقًا خطابيًا بين المولى جلّ وعلا وبين النّبيّ -عليه الصّلاة والسّلام-، وهذا لا يلغي كون هذه المواعيد لا تقع في حقّ كلّ من يأتي بهذا الفعل، بل هي تؤكّد ذلك وتعضده للسبب المذكور قبل قليل.

أمّا الإحالة الدّاخليّة أو النّصّيّة فإنّها تتمُّ بواسطة الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وفيها تكون الإحالة إمّا قبليّة يشير العنصر المُحيل إلى عنصر آخر متقدّم عليه، وإما إحالة بعديّة يُشير فيها العنصر المُحيل إلى عنصر بعده (Shahin, 2012).

ولدينا من الأسماء الموصولة اثنان استُعملا في السورة، ربطا بين جملتين، وكانت إحالتهما إلى ما قبلهما، وذلك في (ويل لكلّ همزةٍ لمزةٍ الذي جمع مالًا وعدّدَه) في الاسم الموصول (الذي) فقد ربط بين الجملتين اللتين حملتا صفات هؤلاء المشركين الذين يغتابون النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، ولكونهم ممّن جمّع المال وسعى إليه سعيًا حثيثًا في حياته، فكانت الجملة الثانية إخبارًا للمتلقّي بهذا الوصف ليُعرَف وكان الرّبط هنا بالاسم الموصول بينهما.

وقد أعربه ابن عاشور على أنّه صفة، وعدّه من قبيل تعدّد الصّفات الذي يجوز أن يأتي بدون عطف (Shahin, 2012) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ* هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ* مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ* عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾[القلم: 10-13]، وقد جاء إعرابه في تفسير الرّازي على أنّه بدل من لفظة (كلّ) وجعل الأمر في الآيتين على أنّه يجري مقام السّبب والعلّة في أنّ ما يدفع هذا الإنسان إلى الهمز واللّمز هو جمعه للمال ولأنّه غنيّ فإنّه يستحقر من هم دونه ويغتابهم (Al-Razi, 1420).

واختار البدل الدكتور قباوة وعلل ذلك بقوله: ولا يجوز الوصف لئلا تكون الصفة [الذي] أعرف من الموصوف [كل همزةٍ] (AL-Mahali and al-Suyuti, 2008).

والاسم الموصول في قوله تعالى: (نار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة)، وقد ربط هذا الاسم بين هاتين الجملتين وهو في محل رفع صفة ثانية، وقد حقّق هذا الرّبط معنى التهويل للجملة التي تليه؛ ذلك أنّها كانت تمهّد لمعنى الجملة الثّانية وتصله بمعنى الجملة الأولى، فاطّلاع نار جهنّم على فؤاد الكافر هو الأشدّ عليه، ولأنّ الألم فيه مميت، ولذلك كان الاطّلاع من النّار عليه وعدم حرقه لكيلا يموت، ويكون في حكم الميت الذي لا يموت أو الحي الذي لا يموت، ويكون تحقيقًا لقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [طه: 74]، وفي تفسيرٍ آخر يكون هذا الاطّلاع عبارة عن حرقٍ لما تحتويه هذه الأفئدة من الكفر والتّكذيب (Al-Qurtubi, 1964).

وفي الضّمير وعوده، لدينا قوله تعالى: ﴿يحسب أنّ ماله أخلده﴾، وقد قال ابن عاشور في إعراب الآية بأنّها حال من (الهُمزة)، والحقُّ أنها حال من جامعي المال ومعدديه كلهم سواء (AL-Mahali and al-Suyuti, 2008)، وقد سيقت في سياق التّهكّم والسّخريّة؛ إذ لا أحد يظُنّ هذا الظّنّ في نفسه وماله، وقد ساق ابن عاشور لنا وجهًا آخر في أن تكون الجملة مُستأنفة والخبر يكون في الإنكار، ويكون هنا تقديرُ آخر وهو تقدير الاستفهام، ويكون أيضًا في سياق التّهكّم والسّخرية أو في التّعجيب (Ibn Ashur, 1984)، ولعلّه وجه بعيد لحاجته للتقدير.

وكذلك لدينا الضّمير في (لينبذَنّ) وهو يعود على الكافر الذي يظنُّ أنّ المال سيخلّدهُ في الدّنيا، وقد قُرئت بقراءات مختلفة، فقد قرأها ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر عن ابن محيصن والحسن: (ليُنبذانِ)، (Al-damiati, 1998) و(Makram & Omar, 1988). وهي بذلك تعود على الهُمزة وماله معه، وقرئت قراءة شاذة بالضم على الجمع: (لينبذُنّ)، (Ibn Khalawayh, 1934) وبذلك تعود اللّفظة على الهمزة وعلى أنصاره، أو قد تعود على من نزلت بحقّهم من المشركين، وفي كلّ القراءات التي ذكرناها هناك ضمائرُ وعَوْدٌ مختلف في كلّ قراءةٍ منها (Abu Hayyan, 1420)، وهذا العَوْد هو الذي يحقق التماسك القوي في الآية ويقرر معنى من معنى آخر، فالقصد من الربط الضميري إقامة ربط بين مكونات القول الشعري تنهض على الضمير، ولأن الضمير يحيل في أصله الاستعمالي إلى ما سبقه عُدّت الإحالة بواسطة الضمير من عوامل الربط التي تفيد الكلام تماسكًا، واتساقًا، وتنفي عنه صفة التكرار (Murshid, 2014).

ب- الحذف:

ويُعدّ الحذف وسيلةً من وسائل التّماسك من جهة أنّ الحذف يرتبط المحذوف فيه بعلاقةٍ قبليّة مع عناصر لغويّة تسبقه، وهو من القضايا التي عالجتها كتب التراث بوصفه انزياحًا عن المستوى التّعبيري العاديّ، يخرج بالمعنى إلى ما هو أفضل منه وما هو غير مألوف (Shahin, 2012).

ونجد أفضل وصف له في كتب التّراث عند الجرجانيّ في دلائل الإعجاز، إذ يقول: وهو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنّك ترى به تركَ الذّكر أفصح من الذّكر، والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ بيانًا إذا لم تُبِنْ (Al-jurjani, 1983).

ونجد الحذف في الآية الكريمة مما ورد في تفسير ابن عاشور للآية الأولى ﴿ويل لكلّ همزةٍ لمزةٍ﴾ على أنّ في الآية حذفًا، والتّقدير: (ويلٌ لكلّ شخصٍ همزةٍ لمزةٍ)، على أن تكون لفظة الهمزة نعتًا لكلمة شخص المحذوفة، وأقام بهذا الحذف وصفه مقام هذا الشّخص، وهذا اللّفظ عائد على المشركين، وعلى كلّ من يتشبّه بهم في هذا الفعل، وسبب ذلك هو هذا النّعت وكيفية مجيء هذا النّعت، وهي أنّه قد جاء على وزن (فُعَلَة) وهو مناسب في أنّه مبالغة مناسبة في الوصف، مثل رجل حُطمة وضُحكة، وغيرهما، فهذه المبالغة في الوزن جعلت المقام مناسبًا للحذف (Ibn Ashur, 1984)، وقد كان في هذا التّفسير موافقًا للكشّاف وآخذًا عنه، وإن لم يقدّر صاحب الكشّاف محذوفًا هنا (Al-Zamakhshari, 1407). أيضًا جاء الحذف هنا ليشمل في حذفه وعدم عموميته أيّ تخصيصٍ لأحدٍ من المشركين، بل أن يكون عامًّا لجميع المتّصفين بهذا الوصف.

والهمزة من الهمز ويعني أن يعيب أحدُ أحدًا بالإشارة بالعين أو بالشّدق أو بالرّأس بحضرته أو في غيبته، واللّمزة من اللّمز وهو المواجعة في العيب، والمعنيان في النّيل من أعراض النّاس والطّعن فيهم (Ibn Ashur, 1984).

وهناك موطنٌ آخر للحذف وهو حذف المبتدأ في الآية ﴿نار الله الموقدة﴾ التي كانت جوابًا للآية التي قبلها، وهذا الجواب تقدير المحذوف فيه (هي نار موقدة)، وهذا الحذف جاء جريًا على أنّ كلّ ما تقدّم ذكره وتمّ الحديث عن ذكر أوصافه يتمّ حذف اللّفظ الدّالُ عليه، وقد ذكرها في هذه السّورة ذكرَ صفاتها قبل هذه الآية، ولذلك اكتفى بذكر الخبر وحذف المبتدأ (هي) العائد عليها (Ibn Ashur, 1984)، ولا يخفى ما لهذا الحذف من تهويل للمغتاب وترهيب له.

ج- التّوابع:

تميّز التّماسك هنا في هذه السّورة بالاعتماد الكبير على التّوابع في إجراء تواصل الأجزاء في نصّ السّورة الكريمة، ويكون ذلك بالعطف والبدل والتّوكيد والنّعت، وهذه التّوابع وظيفتها الرّبط بين الجُمل وبين الآيات في القرآن الكريم. وقد اهتمّ بذلك النّصيّون بدرجات مختلفة فلم يهتمّوا كثيرًا بالنّعت على حساب بقيّة التّوابع الأخرى، ولكن في الدّرس العربيّ النّحويّ والبلاغيّ لدينا صدى لهذا الاهتمام والعناية بهم جميعًا (Nofal, 2014).

ونجد ذلك في الآية الأولى من السّورة، وذلك في لفظتي (الهمزة واللّمزة) العائدتين على المعنيّ به المحذوف في الوصف الذي كان لهذا الشخص، فكلمة لُمزة هي توكيد لفظي بالمُرادف لكلمة هُمزة؛ لأنّ اللماز هو ذاته الهمّاز، كما قال المعربون، لكنّ المحققين من العلماء أكّدوا أن لا ترادف في القرآن، وعلى ذلك نختار إعراب البدل بحسب رأي ابن خالويه (Darwish, 1415). وكذلك الاسم الموصول (الذي) هو بدل من (كلّ همزة)، فنحن أمام تابع يصل بين الجمل ويحقّق التّماسك في النّصّ.

وإذا تابعنا في قراءة الآيات نراه استعمل العطف بين الجملتين (جمع) و(عدّده)، وذلك الوصل كان بالواو، وقد استعمل ذلك ليصل بين الفعلين، ومناسبة ذلك للنّصّ تكمن في أنّ المقام مقام مبالغة؛ لذلك نرى التّضعيف في لفظة (عدّدَ)، للمبالغة والتكثير، من أجل إظهار هذا الجشع الذي يحكم نفوس وعقول هؤلاء تجاه المال والحياة؛ لأنّ جمع المال أمر حياتي اعتياديّ ومطلوب ولكنّ الأمر الشّائن هو في المبالغة في ذلك والسّعي إليه بشدّة. وقد قيل في تفسير لفظة (عدّده) أنّها من

قبيل الإكثار في تعداد أنواع المال المجموع؛ أي إنّه جمع الذّهب والفضّة والأنعام وغيرها من الأشياء الثّمينة التي تجمع في الحياة في كلّ عصرٍ من العصور (Nofal, 2014)، وكلا المعنيين لا ينفيان حقيقة هؤلاء المعنيّين بهذه الآيات.

ولدينا من الصّفات التي ذكرت في السّورة قوله تعالى في الآية: ﴿نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة﴾ ثمّ في قوله تعالى: ﴿في عمد ممدّدة﴾ فمُمَددة صفة لما قبله، وقد كان وصف النّار باسم المفعول (موقدة) وهي من اسم المفعول (أوقد) والتّوقّد هو ابتداء لهب النّار فإذا صارت جمرًا يكون لهيبها قد خفّ، وبما أنّها لا تزال موقدة فهي لا تزال ملتهبة ولمّا يَزُلْ بعد لهيبها (Nofal, 2014)، وفي الآية الأخيرة نتبيّن حال المُعذّب في هذه النّار، إمّا أن يكون مربوطًا إلى أعمدة متطاولة بالسلاسل الغليظة، ويكون هذا كما حال السّجون المعروفة، أو أن تكون لفظة العمد للنّار صفةً لها أن تكون ممتدّة كما النّار في الشّواء، وفي كلا الوصفين صورة مؤلمة ومرعبة لحال المعلّق ومن حوله النّيران تحرقه (Ibn Ashur, 1984)، وذكر الزمخشري أنّها أعمدة موصودة إليها الأبواب في جهنّم (Al-Zamakhshari, 1407) وكذلك ذكر القرطبيّ (Al-Qurtubi, 1964) وأضاف الرازي بأنّها قد تكون أعمدة تضرب بها الملائكة المشركين (Al-Razi, 1420). كل هذه التّوابع اللّفظيّة والمعنويّة التي ذكرناها ساهمت في تشكيل التّماسك النّحويّ في سورة الهُمزة الكريمة، فالتابع ومتبوعه "كالكلمة الواحدة. وكذلك يرتبط التابع بمتبوعه من خلال المشاركة معه في الوقوع تحت تأثير عامل واحد؛ فالعامل في المتبوع هو العامل في التابع ... وحال مرجعية الضمائر ... يظهر تعدي المرجعية من الجملة الواحدة إلى عدد كبير من الجمل المكونة للنص، لتربط الضمائر بينها جميعًا في عقد واحد يسمى النص (Elfeki, 2000).

وإذا أتينا إلى **التّماسك المُعجميّ**، لدينا:

أ- التّكرار:

وهو من وسائل السّبك النّصيّة، وهو الأكثر شيوعًا واستعمالًا. وأنواع التّكرار عند هاليدي وحسن هي: (التّكرار المعجميّ، وتكرار التّرادف أو شبه التّرادف، والاسم الشّامل، والكلمات العامّة). وما يهمّنا هنا هو التّكرار المعجميّ وهو التّكرار التّامّ المحض الذي تكرّر فيه الكلمة في النّصّ غير مرّة وبلا تغيير (Shahin, 2012)، ومثاله في السّورة في الآيتين: ﴿كلّا لينبذنّ في الحُطمة وما أدراك ما الحطمة﴾، فلفظة الحُطمة هي وزن على غرار الهُمزة واللُّمزة اللّتين جاءتا في بداية السّورة، وهي وصف لنارِ جهنّم، والحُطمة من الحطم أيّ: الكسر، يُقال: شرّ الرّعاء الحطمة؛ أي وكأنّه يحطم الماشية ويكسرها عند سوقها بعنف، وقيل في الحُطمة هنا إنها الدّركة الثّانيّة من دركات النّار، وقيل إنّها تحطم العظام وتأكل اللّحوم حتّى تهجم على القلوب (Al-Razi, 1420)، وهذا الوصف جاء في سياق التّهويل من أمر هذه النّار؛ إذ أتى بأحد أسمائها وعرّف بعدها بها في أسلوب استفهاميّ يكثر وروده في القرآن الكريم، وهذا من أجل إظهار مقام التّهويل من هذه النّار في إعادة هذه اللفظة، كما في قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾[الحاقة: 3]، كما يرى ابن عاشور في هذا السياق (Ibn Ashur, 1984) .

وفي تفسير الرّازيّ نجد أنّه خرّج المسألة على الرّبط بين الألفاظ في الآيات على تقدير: إن كنت الهُمزة اللّمزة فإنّ لك الحُطمة، وهذا رأي أو بما أنّك آكل للحوم النّاس فإنّ لك النّيران تأكلك لما في معنى الحطمة ما يحمل هذا المعنى من الأكل للحوم المقذوفين فيها (Al-Razi, 1420).

ب- التّضامّ أو المصاحبة اللّغويّة:

وهو توارد زوجين من الكلمات بالفعل أو القوّة، نظرًا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك، وهو نوع من التّرابط المعجمي بين الكلمات، حيث يرتبط عنصرٌ بآخر من خلال ظهور مشترك متكرّر في سياقات متشابهة، وهذا المصطلح يدلّ على الألفاظ التي تجمعها علاقات دلالية، وهذه العلاقات التي ترد تسهم في سبك النّصّ بما قد تحويه من علاقات متضادّة تبرز المتضادّات عندها على أنّ الضّدّ يُبرزُ حُسنه الضّدُ (Nofal, 2014).

وذلك التّضامّ يظهر لنا في الآية الأولى في التّقابل بين الهُمزة واللّمزة، وقد سبق شرحنا لهما، وأيضًا ممّا يدخل في أنواع ووسائل التّضامّ علاقة الجزء بالكلّ، أو العكس، بأن يقال لنا: البيت ثمّ في السّياق تأتي لفظة الحُجرة، وهكذا (Nofal,

(2014، وهذا يظهر لنا في الآيتين الآخيرتين، والتي في إحدى التّفاسير التي ذكرناها يكون حال المشركين أنّهم في النّار، هذه الصّورة العامة، ثمّ ذكر أنّها مؤصدة عليهم، وهذه هي الأبواب التي تُغلق على من فيها، ثمّ ذُكرت الأعمدة، والتي قيل فيها إنها الأعمدة التي ترتكز عليها الأبواب في إغلاقها على من هم داخلها، وهذا التّفسير دليل على مجيء التّضامّ في هذه السّورة. وبذلك يكوّن الحق سبحانه وتعالى معجمًا خاصًّا بنار الحطمة الخاصة بالمغتابين، ليهوّل أمرها أمامهم علّهم يرتدعون عن هذا الفعل الآثم.

المعيار الثاني- الانسجام (Coherence):

وهو يتضمّن الإجراءات التي تنشط فيها العناصر ذات التّرابط المفهومي، واسترجاعه، وتشتمل وسائل الانسجام على:

العناصر المنطقية كالسّببيّة والعموم والخصوص، والمعلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والمواقف، والسّعي إلى التّماسك فيما يتّصل بالتّجربة الإنسانيّة. ويدعم الانسجام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النّصّ، مع المعرفة السّابقة بالعالم أو بالمحيط الخارجي (De bougrand, 1998).

ومعيار الانسجام يهتمّ بالتناسق المعنوي الذي تفرضه المعاني وما يربط بينها من علاقات ذهنيّة، هذه العلاقات تجعل المفاهيم مستمرّة، ويكون ذلك عندما يكون عندنا قضيّة ويلحق بها نتيجة أو تفسير أو تفصيل لها، فالنّصّ كما توجد فيه ألفاظ مسبوكة متلاحمة مع بعضها البعض تتبع تسلسلًا منطقيًا، فإنه يخضع للعمليّة ذاتها من حيث النظر إليه وفق المعنى؛ إذ تتتابع فيه المعاني وراء بعضها وتكون منسجمة مع بعضها (Nofal, 2014).

ووسائل الانسجام كثيرة وسنكتفي بعرض ما له علاقةٌ بهذا النّصّ القرآنيّ الذي بين أيدينا، وهذه العلاقات هي: السّببيّة، والعموم والخصوص/ الإجمال والتّفصيل، وعلاقة الحوار (Nofal, 2014).

ففي علاقة السّببيّة نجد أنّ السّورة كلّها تقوم على السّبب والنّتيجة، فهي في البداية عرضت لنا الشخص الهمزة اللّمزة، الجشع الساعي خلف المال، ثمّ بيّنت لنا الجزاء والعقاب له بأنّه سيلقى جهنّم ويعذّب فيها، وذلك بالنّسبةِ للمشركين التي نزلت السّورة في حقّهم ولكلّ من سار على نهجهم وطريقتهم، والسّبب عُرض في أوّل السّورة، وقد فصّل المولى عزّ وجلّ في عرض الصّفات المسبّبة لذلك وتخيّر لها البداية ليكون منطقيًا للمتلقّي أن يرى النّتيجة وهي ما سيحلُّ بهؤلاء الآثمين.

وفيما يتعلّق بالعموم والخصوص/ الإجمال والتّفصيل، لدينا الآيات الثلاث الأخيرات وفيهنّ ما يمكن أن نطلق عليه لوحةً تصويريّة لما يجري من بعض العذاب الذي يتعرّض له المشركون في نار جهنّم، وقد اتّخذت طريقة عرض عام مهّدت لها في أنّ مكان العذاب في الحُطمة أي في النّار، ثم دخلنا من صورة تلك الأبواب الموصدة، ثمّ إلى الأعمدة الممتدّة التي تسند تلك الأبواب، أو التي يعلّق إليها الكفّار، أو التي يُضربون بها مهما كان تفسيرها فهي صورةٌ داخليّة للعذاب الذي يجري في هذه النّيران، فيها تفصيل وتعميم لكلمة (ويل) التي أجملت العذاب في بداية السورة للتهويل، ثم أخذ الحق يفصّل ويخصص ذلك العذاب لمضاعفة التهويل. ولعل من أهم من فسّر أهمية هذه الصورة القرآنية سيد قطب إذ قال: وإنا لنرى في عناية الله سبحانه بالرد على هذه الصورة معنيين كبيرين: الأول: تقبيح الهبوط الأخلاقي وتبشيع هذه الصورة الهابطة من النفوس. والثاني: المنافحة عن المؤمنين وحفظ نفوسهم من أن تتسرب إليها مهانة الإهانة، وإشعارهم بأن الله يرى ما يقع لهم، ويكرهه، ويعاقب عليه (Qutb, 1412).

وعلاقة الحوار تظهر في قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما الحُطمة نار الله الموقدة﴾، وهنا يظهر الحوار والخطاب إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهو أسلوب مستعمل في القرآن الكريم يُفيد التّهويل والتّعظيم، فالحق لا يسأل عن الإجابة، ولكنه يعرض للنّبيّ عليه الصّلاة والسّلام مصير هؤلاء الهمّازين اللمازين، وهذا هو معنى الاستفهام وما خرج إليه متكاتفًا مع تكرار اللّفظة فيها، وأيضًا مع فعل الدّراية الذي جاء في الآية، الذي يُفيد من تهويل لفظة الحُطمة وما تعنيه. فالتّرابط جاء عن طريق السّؤال وجوابه، فالسّؤال عن ماهيّة المصير الذي ينتظر هؤلاء، والجواب في الآية التي تليه، فأوحت الآيات لنا ترابطًا وإفادةً وإغناءً للمعنى الذي سيقت من أجله.

ويظهر التّرابط الانسجامي في قوله تعالى ﴿يحسب أنّ ماله أخلده كلّا لينبذنّ في الحطمة﴾ وهو في تفسير (كلّا) التي قد تكون في وجهٍ ردعًا لحسبانه أي ليس الأمر كما يظنّ؛ بأنّ المال سوف يخلّده في الحياة الدّنيا، وفي وجه آخر يكون تفسير الكلام على أنّه: حقًّا لينبذَنّ في الحُطمة، ويكون الكلام جوابًا لقسمٍ محذوفٍ، ودلّت عليه لفظة (كلّا)، وفي كِلا التّقديرين لدينا مجال للجواب والرّدّ من الله إلى هؤلاء المُشركين وما يفعلونه (Al-Razi, 1420).

المعيار الثالث- المقبوليّة: (Acceptability):

ويعني قبول مستقبل النّصّ في تلقيّه لهذا النّصّ الذي يُلقى عليه، أي أن يكون هذا الإلقاء آتيًا في صورة مقبولة يتحقّق بها فهم هذا النّصّ عنده، وإذا لم يحصل هذا الأمر فإنّ المقبوليّة وفهم النّصّ يتزعزعان عند المتلقّي، ويكون هذا في الغالب بسبب عدم وضوح الغايات والمقاصد وعدم توافقها بين المتلقّي والمُنتج (De bougrand, 1998).

ومن أجل توضيح ذلك فإن فكرة المقبوليّة تتمحور حول المُخاطب، وتسعى نحو اكتسابه لمعرفة جديدة، وهذا يتعلّق بنوع النّصّ والمقام الثّقافي والاجتماعي والرّغبة في تحقيق الهدف من النّصّ، وهذه العوامل تتشكّل في النّصّ، من خلال معرفة المُتلقّي بنوع النّصّ وبمنتجه، وقصد منتجه منه، ومدى أهمّيّة هذا النّصّ بالنّسبة إلى المتلقّي، وكذلك على الخصائص النّفسيّة لدى المتلقّي (Shahin, 2012).

وفي ضوء هذا التّوضيح يمكننا أن نفسّر مدى مقبوليّة هذا النّصّ، وذلك أنّه من عند الله تعالى، فهو ليس بالنّصّ العاديّ بل هو كلام إلهي مُنزّل، وهذا ما يقوّي مقبوليته لدى النّبيّ صلى الله عليه وسلّم، وكذلك عند المسلمين ممن تبعوه، وهنا أيضًا نجد المُتلقي، وهو أولًا النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام الذي يقبل بهذا الكلام الإلهي دون أدنى شك، ونحن نتحدّث الآن في البديهيات التي لا تقبل الجدال، وقد ظهر ذلك في قصد لغويّ ومعنويّ له صلّى الله عليه وسلّم.

ومما يدعم القبول ويعضده أمام المؤمنين سبب نزول السّورة القرآنية، فقد كان في حقّ المشركين الذين كانوا يستهزؤون بالنّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، وذلك الخطاب في الآيات الأولى كان في حقّهم، وفي عرض صفاتهم، ثمّ انتقل إلى جزائهم في الحياة الأخرى واصفًا العذاب الذي سيلقاهم في سياقٍ خطابيّ للنّبيّ محمّد عليه أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم.

فقد كان هناك سبب لنزول هذه الآية، وكان هناك خطاب مباشر موجّهٌ للنّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، وللمؤمنين ممّن معه، وكان السّياق للمؤمنين تحذيرًا من الإتيان لمثل هذا العمل في لفظة (الويل) التي ستكون جزاءً لكلّ من يتبع سيرة هؤلاء المشركين في خلقهم مع إخوانهم من المؤمنين - وهذه الصّفة شائعة في زماننا -، وكذلك للمؤمنين الذين كانوا في زمن النّبيّ عليه أفضل الصّلاة والسلام، فقد كان المشركون يستهزؤون بالنّبي صلّى الله عليه وسلّم وبمن معه، وكذلك بنا في هذا الزّمان الذي نعاني فيه، فهي سلوان لنا بكلّ من يستهزئ بديننا، وبذلك يحقّق هذا النّصّ المقبوليّة لدينا، ويجعلنا نصبر على ما نتعرّض له من أعدائنا.

وثمة دليل آخر نذكره هو ما ورد كثيرًا في كتب السّيرة من تقبّل النّصّ القرآنيّ من المُشركين في زمن النّبيّ عليه الصلاة والسّلام، ممّن كانوا يستمعون إلى النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام في اللّيالي وهو يقرأ القرآن ويتأثّرون به، وأنّ القضية ليست قضية تكذيب بقدر كونها قضية عناد ومكابرة (Nofal, 2014)، وإن كان هذا تقبّل المشركين للقرآن، فكيف لا يصدر من النّبيّ عليه الصلاة والسّلام، ومن المؤمنين؟ فمسألة مقبولية النص القرآني مسألة لا جدال فيها؛ لأنه نص مقدس لا مِراء فيه.

المعيار الرابع- الإعلاميّة (Informativity):

هي ما نحصل عليه من النّصّ من معلومات، وهي تُجمل في ثلاثة مفاهيم هي:

1- بمعناها العامّ: يجب على النّصّ أن يقدّم خبرًا ما. والنّصوص كلّها تشترك في هذه الوظيفة.

2- الإعلاميّة بمعنى الجِدّة وعدم التّوقّع، ويكون ذلك فيما يقابله المتلقي من جدّة وإبداع ومخالفة للواقع. ويكون ذلك في النّصوص الأدبية.

3- الإعلاميّة بمعنى الدّعاية وهي تكون بالإيجاب أو السّلب لشخصٍ ما أو مذهبٍ ما (Shahin, 2012). وتكون في الشعر والنثر.

وبناءً على ذلك علينا تتبع آليات الإعلاميّة في هذه السّورة الكريمة في ضوء المفهوم الثّاني، فمن غايات القرآن الكريم التّفوّق على النّصوص الأدبيّة الشعريّة السّائدة في العصر الجاهلي، وهو الإعلامية على المستوى الأدبيّ.

والنّصّ القرآنيّ الكريم يقدّم لنا إعلامًا لحقيقةِ جزاء الكافرين ومن سار على نهجهم وهداهم، في سخريتهم واستهزائهم بالنّاس، وهذا الإعلام بالجزاء كان ممهّدًا له بذكر هذه الصّفات الموجبة كما وضّحنا سابقًا، وعقب ذلك التمهيد أتتنا صورة هذا العذاب.

مع هذا التّرتيب المنطقي للإعلام ومراعاة المُخاطب في سياقات الخطاب في آية ﴿وما أدراك ما الحُطمة﴾ كانت هذه السّياقات تحمل طاقةً بلاغيّةً قويّةً تجلّت بتصويرات بليغة متهكّمة في عرض صفة المشركين ومن سار على نهجهم، ومرعبة لجزائهم ومصيرهم.

ومن أجل أن نضع هذا التّصوير البليغ في سياقه التّعاقبي الصّحيح سنعمد إلى إعادة صياغة ما مرّ سابقًا مع الحديث عن جماليات الأسلوب في هذه السّورة الكريمة.

بدأ النص أولًا في لفظة التّوعّد التي أُعقبت مباشرةً بصفة هؤلاء المشركين، وهذه الصّفة كانت الهُمزة، وأتبعت هذه الصّفة بصفةٍ أخرى هي اللّمزة، وبما يوحي ذلك الجناس من جمال في لفظه، وهما وإن تقاربا في المعنى فإنّهما أمعنا في تبرير لفظة الويل المرُعبة التي بدأت بها السّورة، والوعيد في هذه الآية عامٌ وخاصٌ في آن، ذلك أنّ الآية نزلت في المستهزئين من المُشركين، وهي كذلك مُنزلة في حقّ كلّ امرئٍ يسير على نهجهم، وذلك واضحٌ في لفظةِ (كلّ) التي تفيد الاستغراق.

ثمّ في إكمال سرد الصّفات للهمّاز اللّماز بأنّه يجمع المال ويعدّده، وقد قرئت بالتّشديد وبالتّخفيف وهناك فرق في اللّفظين تبعًا للقراءة القرآنية، والأمر يتعلّق بصفةِ هذا الجمع، مع التّشديد الذي ترافقه زيادة المبنى فتأتي معه زيادة في المعنى، أنّه يبدو لنا قد جمّع المال على فترات طويلة، وأيضًا من أماكن متفرقة، وهذا المعنى يبرّر لنا تعلّقه الشّديد بالمال، فقد أفنى لأجله حياته وعمره، أما في القراءة الثّانية فلا نجد هذه المعاني، وتنكير لفظة (المال) تُعطينا هي الأخرى ذلك المعنى العامّ، فهو جمع العديد من أنواع المال، وهذا التّعميم في التّنكير يزيد من واقعيّة هذا النّصّ ويعطي سببًا آخر للتّعلّق بهذا المال (Al-Razi, 1420)، وفي سرد الصّفات لدينا صفةٌ أخرى هو ظنّه العقيم بالخُلد بهذا المال.

ومع هذه الصّفات التي عرضناها نأتي إلى الجزاء الذي أُعِدّ لهم، ليكون النّبذ في نيران جهنّم هو مصيرهم، فجاء الحق بلفظة النّبذ إمعانًا في الإهانة والتّحقير من شأن هؤلاء بسبب صفاتهم الحقيرة وسعيهم الحقير نحو المال، وظنونهم الخاطئة، خصوصًا أنّهم يعتدُون بأنفسهم بأنّهم أناس مهمّون ومن علية القوم وسادتهم، وزاد من التّحقير قراءة (لينبذان) التي سبقت إليها الإشارة؛ ليدلّ على المُشرك وماله، ثمّ جاءت لفظة الحطمة التي كانت صفة للنّار، أو اسمًا من أسمائها، وهي التي يتحطّم فيها كلّ شيءٍ تأتي على البشر الذين ينزلون فيها فتحطم أجسادهم وعظامهم، وهذه صورةٌ مرعبةٌ ممهّدة للصّور المُرعبة التي ستأتي بعدُ، وكذلك في هذه اللّفظة هناك توافق بينها وبين الهمزة واللّمزة، وهذا التناسب في الألفاظ فيه تناسب في المعاني أيضًا؛ لأنّ هذا الهامز الذي يكسر من مقامات النّاس له الحطمة التي ستحطّم وتكسّر عظامه، وكذلك الهمّاز اللمّاز يسعى في أكل لحوم النّاس وهذا أيضًا من معاني النّار (Al-Razi, 1420).

وفي نهاية السّورة تتجلّى لنا صورة العذاب المُرعب الذي سيحيق بهؤلاء الكفار، ليتدرّج كذلك الحقّ سبحانه وتعالى في وصفه وتقديمه للقارئ، وذلك بالبدء بالعامّ ثمّ تخصيصه أكثر فأكثر، فيعرض من خلالها صورةً تُشبه سجنًا أوصد على المُعذّبين فيه، وفي هذا التصوير تصريح بالخلود في هذه النار إلى غير نهاية (Abu Hayyan, 1420)، كما أنّ كلّ هذه الأوصاف جاءت لتبيّنَ لنا شدّة العذاب القاسي عليهم، وليتمّ إظهار ذلك بأبلغ ما يتعارف النّاس عليه، ولذلك هي صورة قريبة كانت متنشرة عند البشر في أزمانٍ متعدّدةٍ (Ibn Ashur, 1984).

المعيار الخامس- القصديّة (Intentionality):

وهي تتضمّن موقف منشئ النّصّ من كون صورة ما من صور اللغة التي قُصد بها أن تكون نصًّا يتمتّع بالتّماسك والانسجام، وأنّ هذا النّص عبارة عن وسيلة من وسائل متابعة خطةٍ معينةٍ للوصول إلى غايةٍ بعينِها (De bougrand, 1998).

وهي تعني قصد مُنتج النّصّ من أيِّ تشكيلةٍ لغويّة يُنتجها؛ لأن تكون قصدًا متماسكًا منسجمًا، وهي تشمل جميع الطُّرق التي يستعملها المُنتجون في نصوصهم من أجل إيصال هذه المقاصد إلى المُتلقّين، وهذا المعيار من أهمّ المعايير في الدّراسات النّصيّة؛ لأنّه لا بدّ لأيِّ نصٍّ من قصدٍ معيّنٍ ليحقّق بذلك غاية وجوده ويحقّق الفائدة للمتلقّي (Shahin, 2012).

وقد جعل بعض العلماء المعنى القرآنيّ على ضربين (Nofal, 2014):

الأوّل: هو المعنى القصديّ: هو مراد الله تعالى من كلامه، وهو معنى توقيفي، ليس علينا إلا الاجتهاد في فهمه كما بلغنا بسند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثاني: المعنى الإدراكيّ: وهو كلُّ ما يُدركه أهل العلم والتّدبّر من النّصّ القرآنيّ وفقًا لأصول الإدراك والتّدبّر وضوابطهما، وهو كلّ ما يستنبطه ويُدركه أهل العلم من النّصّ في سياق السّورة المقاليّ والمَقاميّ.

ومن القراءة المتأنّية للسّورة الكريمة وبعد التأمّل في معيارَي الانسجام والتّماسك يمكن لنا أن نتبيّن مقصدين اثنين أساسيَّين من هذه السُّورة الكريمة، الأوّل هو الرّدُّ على المستهزئين بالنّبيّ عليه الصّلاة والسّلام وبمن معه، والتّشهير بهم وبصفاتهم، والثاني هو بيان هذا العقاب والجزاء الموعود لهم.

وقد أسلفنا أنّ المقصود بالهُمزة اللُّمزة جماعة من المُشركين، وقد اختلف المفسرون في تحديدهم، وسنعرض ما قاله أبو حيان؛ لأنّه أسهب في الحديث عنهم، فقد قال بأنّها نزلت في الأحسن بن شُريق، أو في العاصي بن وائل، أو في جميل بن معمّر، أو الوليد بن المُغيرة، أو أميّة بن خلف، وقد أورد قول السّهيليّ بأنّها نزلت في أميّة بن خلف الجُمحيّ، وذكر ذلك ابن إسحق (Abu Hayyan, 1420)، وقد أورد في تفسيره اسم الأحسن وليس الأخنس، على غير ما ذكرته باقي التّفاسير التي تناولت الحديث عن المُنزل فيهم.

وقد رأى الرّازي بأنّها قد تكون نزلت بالأخنس بن شريق؛ لأنّه كان يلمز النّاس ويغتابهم وخاصّةً الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، وقيل نزلت في الوليد بن مُغيرة؛ لأنّه كان يغتاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وكان يطعن في وجهه، وقيل هي على العموم على أنّ هذا العموم لا يُلغي هذا التّخصيص (Al-Razi, 1420)، وسواءٌ كان سبب نزول السورة على التّعميم أم على التّخصيص فإنّ السببين لا يتعارضان بل إنّ كلّ واحدٍ منهما يُقوّي الآخر ويدعمه ولا يُلغيه، ويبقى المَقصد العام من هذه السّورة الكريمة هو تأكيد عذاب الكافرين.

والأمر الذي نرى الاختلاف فيه هو تأويل صفة العذاب فيه كما في لفظة العَمَد، التي اختلف في تأويلها، ومن قبلها لفظة الحُطمة التي اختلف فيها فهي عند الرّازي اسم من أسماء النّار والدّركة الثّانية من دركات النّار (Al-Razi, 1420)، وأورد القرطبيّ عددًا من التأويلات فيها منهم من قال بأنّها الدّركة الرّابعة، ومنهم من قال بأنّها الدّركة السّادسة، وأورد تأويل الدّركة الثّانية (Al-Qurtubi, 1964)، والأمر نفسه هنا يمكن أن نقرّره على المقصد الأوّل والتأويلات التي ذُكرت فيه، هذه التأويلات لا تغيّر من شكل المقصد تغييرًا جذريًا، كما أنّها كانت هنا في المقصد الثّاني مقصورةً على بعض المفسرين الذين ذكروا ما قيل في هذا التّفسير اعتمادًا على ما وصل إليهم من أخبار وأحاديث.

وثمة موضع أخير تختلف فيه المقاصد من الآيات القرآنيّة التي وردت في هذه السّورة الكريمة، وهي اختلاف التأويلات باختلاف القراءات القرآنيّة التي وردت بها هذه السّورة، من ذلك القراءة في لفظة (عدّده)، بالتّشديد ولكن قُرئت بالتّخفيف أيضًا وهي قراءة شاذة (Ibn Khalawayh, 1934).

وكذلك في قراءة (لَيُنبذنّ) و(لينبذانّ) المذكورتين سابقًا، ففي الأولى يكون المقصود فيها مفردًا، وفي الأخرى يكون المقصود مثنّى، وهو الهُمَزَة الذي يعود عليه أحد الضميرين، وماله الذي يعود عليه الضّمير الآخر.

المعيار السادس- المقاميّة (Situationality):

وتتضمّن العوامل التي تجعل النّصّ مرتبطًا بموقفٍ سائدٍ يمكن استرجاعه، ويأتي النّصّ في صورة عملٍ يمكن له أن يُراقب الموقف وأن يغيّره، وقد توجد وسيطة ضعيفة بين هذه العوامل والنّصّ، وقد تكون هذه الصّلة مباشرة وقويّة بينهما (De bougrand, 1998).

وهذا المعيار مهمٌ لما يرى الباحثون من أنّ دراسة النّصّ لن تكون كافية بالوقوف فقط عند بنيته النّحويّة أو الدّلاليّة الدّاخليّة، بل أيضًا بالسّياق الخارجي الذي يُحيط بمنتج النّصّ (Shahin, 2012).

وله نوعان (Shahin, 2012): سياق داخليّ: يتعلّق بالعلاقات الصّوتيّة، والصّرفيّة، والنّحويّة، والدّلاليّة بين الكلمات في تركيب معيّن، وسياق خارجي: يتمثّل في السّياق الاجتماعيّ، أو سياق الحال بما يحتويه، وهو يشكّل الإطار الخارجيّ للحدث الكلاميّ.

وهذا السّياق الخارجيّ يَضُمُّ السّياقات الدّينيّة والسّياسيّة والتّاريخيّة والاقتصاديّة؛ لأنّها جميعًا من الخصائص الاجتماعيّة التي يجب معرفتها عن الزّمان والمكان الذي قيل فيها النّصّ؛ وأيضًا لأنّ هذه الأمور التي ذكرناها لها تأثير في توضيح النّصّ لنا، نعرف عن طريقها لماذا قيل هذا النّصّ في هذا السّياق وبهذا الشّكل (Nofal, 2014).

يُقابل هذا المُصطلح في التّراث العربيّ مصطلح الحال أو المقام أو الموقف، وهي لم تنل من الدّرس العربي الاهتمام الكافي، ولكن لهذا المصطلح حضوره الذي لا يُنكر في الدّراسات البلاغيّة والقرآنيّة والنّحويّة وغيرها (Nofal, 2014).

وفي الدّراسات القرآنيّة تأتي أهمية أسباب النّزول، لتفسير الآيات والسور القرآنية تفسيرًا دقيقًا، وربطها بسياقها، مما يُعين المتلقي على الفهم الشامل للنص القرآني. والجدير بالذكر أنّه ليس لكلّ آيةٍ أو سورةٍ في القرآن الكريم سبب نزول، بل هو مرتبط ببعض الآيات وببعض السّور، وكثيرٌ من الآيات إنّما نزلت من عند الحقّ سبحانه وتعالى هدايةً للخلق أو لأسبابٍ أخرى، وما نريد قوله هنا أنّ السّبب في كثيرٍ من هذه الآيات ليس اجتماعيًا بحتًا دائمًا (Nofal, 2014).

وبالنّسبةِ لهذه السّورة كان لها سببٌ للنُّزول على نبيّنا عليه أفضل الصّلاة وأتمُّ التّسليمِ وهو أنّها نزلت في حقّ أولئك المُستهزئين تتوعّدهم وتهدّدهم بسبب أفعالهم، وقد سبقت الإشارة لذلك.

وممّا يُلحظ هنا أنّ هذه السّورة ترتبط بشدّة بسبب النُّزول، وقد كان ذلك في الوعيد بالويل للهمّازين اللمّازين في جهنّم، ثمّ في توضيح صفاتهم، وسعيهم للمال؛ فقد كانت هذه الأوصاف مترابطةً مع بعضها، ممّا يوحّد موضوعها، فقد نزلت في المُشركين المستهزئين، ثمّ بيّنت صفاتهم، ثمّ بيّنت الجزاء والعقاب الذي ينتظرهم ثمّ اختُتمت بشيءٍ ممّا ينتظرهم في هذا الجحيم الذي اختاروه لأنفسهم.

المعيار السابع- التّناص (Intertextuality):

يتضمّن العلاقات بين نصٍّ ما ونصوصٍ أخرى مرتبطة به أو وقعت في حدود تجربةٍ سابقةٍ سواءً بوساطة أم بغير وساطةٍ (De bougrand, 1998).

وقد عدّه علماء النّصّ شرطًا أساسيًا من أجل نجاح العملية التّواصليّة كما أوضح دي بيوغراند ودريسلر، وجعلاه من المعايير السبعة التي تسهم في فهم النّصّ وتأويله على النّحو المُناسب له (Shahin, 2012).

وقد قسّم الباحثون التّناصّ إلى أقسام عدّةٍ أهمّها (Shahin, 2012):

- التّناصّ الشكلي (التّناصّ المُباشر): أن يجتزئ النّصُّ قطعةً من نصٍّ سابقٍ أو نصوصٍ عدّةٍ سابقةٍ، وذلك لأجل أن تتوافق مع الموقف الجديد الذي يُقدّم وهو أبسط أشكال التّناصّ.

- التّناصّ المضموني (التّناصّ غير المُباشر): وهو يُستنبط من النّصّ استنباطًا، ويرجع إلى تناصٍّ الأفكار أو المقروء الثّقافيّ أو من الذّاكرة التّاريخيّة، ويكون التّناصّ لهذه العناصر بروحها ومعناها وليس بحرفيتها، وذلك يكون في إعادة إنتاج العمل الأدبي.

أمّا بالنّسبة لوجود هذا المعيار في القرآن فإنّنا نقصد بالتّناصّ القرآنيّ ما يندرج ضمن مفهوم **(تفسير القرآن لبعضه)**، أيّ إنّ الآية تعود على آيةٍ أخرى سبقتها، وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم، هو بالطّبع لن يأخذ من سورة أخرى مادّته، ولن يُكرّر الآيات والمقاصد نفسها بدون هدف أو غاية، بل إنّ هذا التّفسير يحمل معنىً إضافيًا (Nofal, 2014).

وأغراض التّناص القرآنيّ تندرج في الآتي (Nofal, 2014):

1- أن يكون في الكلام لبس فيكون التّناصّ لإزالته.

2- أن يكون ظاهر الآيات مُشكلٌ فيأتي التّناصّ من أجل كشفه وتوضيحه.

3- أن يكون هناك إجمال يحتاج إلى تفصيلٍ.

4- أن يكون هناك تساؤل فيأتي التّناصّ ليجيب عن هذا التّساؤل ويوضّحه.

وأول صور هذا التّناصّ هي في قوله تعالى: ﴿ويلٌ لكلّ همزةٍ لمزةٍ﴾.

التّناصّ الأوّل الذي ذُكِرَ فيها هو كلمة (الويل) التي ذُكرت في غير موضع في القرآن الكريم، ولها معانٍ عدّة بحسبِ السّياق الذي تأتي فيه.

وقد تناصّت في هذا المعنى مع عدد من الآيات القرآنيّة التي حملت هذا المعنى، منها قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[الجاثية: 7]، وكذلك في الآيات التي ذكرت مرارًا في سورة المُرسلات ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[المرسلات: 15]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: 65]، وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[مريم: 37]، وغيرها من الآيات التي حملت هذا المعنى (Al-Mukhtar, 1980).

والتّناصُّ الثّاني في لفظة (الهُمزة ومعها اللُّمزة)، وقد وردت الأولى في قوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[القلم: 1]، وكذلك وردت الثانية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾[الحجرات: 11]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾[التوبة: 58]، كلُّ هذه الألفاظ وردت في القرآن قبل هذه السّورة في سياقات تؤكّد المعنى فيها (Al-Mukhtar, 1980).

في الآية الأولى فيها النّهي عن إطاعة كلّ من يُكثر الحلف ويسيء إلى النّاس، وهي صفة هؤلاء المُشركين، وفي الآيتين تعريض وذمّ لهذا الخُلق ولمن يأتي به ونهيٌ عنه، وهذا أيضًا لا يتعارض مع معاني آيةِ سورة الهُمزة، وذلك لأنّ ذكر هذا الجزاء المُرعب يجب أن يُفهم منه وجوب الانتهاء عن الإتيان بهذا الخُلق السّيّئ، كما أنّ الآية كانت في حقّ المُشركين المُتّصفين بذلك.

ولدينا تناصٌّ آخر في هذه السّورة، وذلك في قوله تعالى: (الذي جمع مالًا وعدده)، وقد جعله صاحب أضواء البيان متناصًا مع قوله تعالى في سورة التّكاثر: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[التكاثر: 1]، وهو يزيد المعنى جلاءً؛ لأنّ المُشركين في سورة الهُمزة هم في غفلةٍ عن الوعيد واليوم الآخر وهم منشغلون بالدُّنيا والمال وجمعه، ولفظة التّكاثر تدلُّ على غير نوعٍ واحدٍ من أنواع المال؛ لأنّ هذه اللّفظة تدلّ على التّعميم ولا تخصّ بالذّكر نوعًا واحدًا بعينه (Al-Mukhtar, 1980).

والتّناصّ في الآية الأولى من التّناصّ المُباشر بسبب مجيء الألفاظ بذاتها في آيات سورة الهُمزة، وهي ألفاظ الويل والهُمزة واللُّمزة، وهي في كلّ هذه المواضع تؤكّد المعنى العامّ الذي يجمعها.

والتّناصّ الذي ذُكر في الآية الكريمة (الذي جمع مالًا وعدّده)، غير مُباشر، وذلك لأنّه تمّ بالمعنى مع سورة التّكاثر في الإشارة إلى المال.

وقد حدث التّناصّ في السّورة ذاتها على مبدأ تفسير القرآن لنفسه بنفسه، وذلك في قوله تعالى: ﴿كلّا لينبذنّ في الحُطمة﴾، فقد فُسِّرت الحُطمة بالآية ﴿نار الله الموقدة﴾ (Al-Mukhtar, 1980)، هذا المعنى قُرِّر في كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، وقد أقرّها المُفسّرون بأنه من قبيل أسلوب المُحاورة الذي يكثر وروده في القرآن.

الخاتمة

حاولنا في هذا البحث رصد مظاهر التماسك النصي في سورة من القرآن الكريم، والغاية من ذلك وضع اليد على الوحدة النصية لهذه السورة الكريمة من خلال دراستنا لها وفق منظور اللسانيات النصية.

النتائج

في نهاية التّطواف في تحليل سورة الهُمزة في ضوء المعايير النّصيّة السّبعة التي أقرّها دي بيوغراند ودريسلر والتي سارت عليها الدّراسات الغربيّة، وانتقلت إلينا، يمكن لنا أن نعرض لبعض النّقاط التي يُمكن أن تُلحظ ممّا مرّ معنا:

1- لسانيات النّصّ علم غربيّ أتى بمعايير وقواعد دَرَسَ فيها النّصوص المكتوبة والمنطوقة والتي يمكن أن نجد مقابِلات لها في الدّرْس العربيّ القديم، مع الأخذ بعين الاعتبار الاختلاف البَيِّن بين المنهجين وبين الدّرسين العربيّ القديم والغربيّ الحديث. ويجب إعادة النّظر في الدّرس القديم ليتماشى مع المناهج الحديثة الغربيّة؛ لأنّ لدينا مادّة نظريّة واعدة يُمكن أن تتكاتف مع النّظريات والمناهج الغربيّة لتأتي لنا بنظريّة عربيّة نصّيّة يمكن الاعتماد عليها. وإذا أردنا تحقيق دراسة نصّيّة متميّزة علينا أن نقلّل الاعتماد على النّظرة النّحويّة الجامدة التي تهتمّ في المقام الأول بالجملة وعلاقاتها ولا تخرج عن إطارها، وأن نوسّعها في مجالات الدّرس اللّسانيّ.

2- تحليل سورة الهَمزة يُرينا إمكانية تطبيق المناهج الغربيّة على النّصوص العربيّة، ومن أهمها النص القرآني، مع الاعتماد على المصادر العربيّة وعلى آراء المُفسّرين بما يُقدّم لنا دراسة رائدة.

3- في الدّراسة اللّسانيّة للسُّور القرآنيّة من المُهمّ لنا أن نضع منهاجًا مغايرًا يتناسب مع طبيعة النّصّ القرآنيّ، فما ينطبق في التّحليل على النّصّ الشّعريّ ليس من الضّروري أن يتوافق مع أيّ سورة قرآنيّة، وهذا رأيناه في معيار المقبولية لأنّ القرآن كلام الله ولا يُشبهه أيُّ كلام من كلام البشر. ومن ذلك أيضًا أنّه في دراسة التّناصّ القرآنيّ لا يُمكن أن نُحيل الكلام إلى نصٍّ خارج النّصّ القرآنيّ، فالقرآن لم يأخذ من أيّ أثرٍ نثريٍّ ولا شعريّ، بل علينا أن نحيل إلى آيات سبقت أو تلت النّصّ المدروس. ولذلك فإنّ هذا المنهج ينبغي أن يراعي طبيعة القرآن الإعجازيّة واللّغويّة والبلاغيّة التي تُميّزه من غيره، وفي هذا فائدةٌ عظيمة للدّرس القرآنيّ اللّسانيّ، فلكل مقام مقال.

4- أظهر البحث أنّ السُّورة متماسكة ومنسجمة ليس فقط من خلال تآزر المعايير النّصّيّة السّبعة، وإنما من خلال ارتباط النص بسبب نزوله في المقام الأول، وتوافقه الحياتيّ مع مرور الزمن في المقام الثاني.

5- نجاعة تطبيق الدرس اللّسانيّ النّصّيّ الغربي على النص القرآني، مما يؤكد لنا مظهرًا من مظاهر إعجاز القرآن، مع مراعاة خصوصيّة النّصّ القرآنيّ وتميُّزه عن باقي النّصوص العربيّة والغربيّة، والاستعانة بالجهود العربية التي لم نعدم تلميحها إلى تلك المعايير الغربية والإيماء إليها.

التوصيات

دراسة بقية النصوص القرآنية التي لم تُدرس وفق اللسانيات النصية.

In the Textual Analysis of the Holy Quran: Surat Al-Humaza as a Model

Ayia Al-Rawabdeh, Researcher, Jordan.

Abstract

The holy quran carried out the maximum massage of allah to his adorers, and that was through a great text, which contained a supreme eloquence that surpassed the eloquence of the ignorants whose thought that it can not be to any one be equal to them. For that reason the holy quran was the challenge for them and that challenge was in form of text has a distinction of cohesion coherence and organic unity. And this unity has been studied recently by term called (text linguistic). This research seeks to find out the positions of the unity of the text in one of the chapters in the holy quran which is sourt Al-Homazah. And it started with discussion about the definition of the text in both its meaning: the lexical meaning and the idiomatically meaning, and than it difind the concept of it to the opinion of the westren and arab scolar, and than it moved to explain the seven textual criterion that have been determined by the text's scholars in order to say that text is cohesive. It maybe the most important reaslts of the resserch that is the chapters of the quran have a super-conhidentiality because the quran is a rhetorical text and also a cohesive and coherent text and has textual unity determined by several criterions not to mention that attachment with the quran'c interprations and the concept of the interpretation the quran by the quran. So that cohonsiv of the quran can be explained.

Keywords: Text, Textual criterion, Text linguistic, The Holy Quran, Surah Al-Humza.

المراجع باللغة العربية

أحمد، مرشد. (2014م). **مبادئ التحليل الأدبي**. مطبعة الأصيل، حلب، ط:3.

الأنصاري، ابن هشام. (1985م). **مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تح: مازن المُبارك، ومحمّد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط:6.

الجرجاني، عبد القاهر. (1983هـ). **دلائل الإعجاز**. تح: محمّد رضوان الدّاية، وفايز الدّاية، دار قتيبة، ط:1.

الجرجاني، علي بن محمّد بن علي. (2003م). **التعريفات**. تح: محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2.

أبو حيّان، محمّد بن يوسف بن عليّ بن يوسف. (1420هـ). **البحر المحيط في التّفسير**. تح: صدقي محمّد جميل، دار الفكر، بيروت.

ابن خالويه، الحسين بن أحمد. (1934م). **القراءات الشاذة**، عني بنشره وتصحيحه: ج. برجستراسر، المطبعة الرحمانية، مصر، ط:1.

درويش، محيي الدين. (1415هـ). **إعراب القرآن وبيانه.** دار الإرشاد للشؤون الجامعية، سورية، دار اليمامة، دمشق وبيروت، دار ابن كثير، دمشق وبيروت، ط:4.

الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد. (1998م). **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، وضع حواشيه: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:1.

دي بوجراند، روبرت. (1998م). **النّصّ والخطاب والإجراء**. تر: تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ط:1.

الرّازي، محمّد بن عمر بن الحسن. (1420هـ). **مفاتح الغيب**. دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط:3.

الزركشي، بهاء الدين. (1957م). **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط:1.

الزّمخشري. (د.ت). **أساس البلاغة**. تح: عبد الرّحيم محمود، دار المعرفة، بيروت. مادة (ن ص ص).

الزّمخشري. (1407هـ). **الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل**. دار الكتاب العربي، بيروت، ط:3.

سيبويه. (1988م). **الكتاب**. تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:3.

السيوطي، جلال الدين. (1974م). **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 186/1.

السيوطي، جلال الدين. (2004م). **لباب النقول في أسباب النزول**، راجعه وخرّج أحاديثه: محمد محمد تامر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

شاهين، عبد الخالق فرحان. (2012م). **أصول المعايير النّصيّة في التّراث النّقدي والبلاغي عند العرب**. جامعة الكوفة.

ابن عاشور، محمّد الطّاهر بن محمّد الطّاهر. (1984م). **التحرير والتّنوير (تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)**. الدّار التّونسيّة للنشر، تونس.

الفقي، صبحي إبراهيم. (2000م). **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية**. دار قباء، القاهرة، ط:1.

القرطبيّ، محمّد بن أحمد. (1964م). **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبيّ)**. تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط:2.

قطب، سيد. (1412هـ). **في ظلال القرآن**. دار الشروق، بيروت والقاهرة. ط:17.

المحلي، جلال الدين، وجلال الدين السيوطي. (2008م). **المفصل في تفسير القرآن الكريم المشهور بتفسير الجلالين**. حققه: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط:1.

المُختار، محمّد الأمين. (1980م). **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة، ط:2.

مكرم، عبد العال سالم. وعمر، أحمد مختار. (1988م). **معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء**. مطبوعات جامعة الكويت، ط:2.

ابن منظور. (1414هـ). **لسان العرب**. دار صادر، لبنان، ط:3. مادة (ن ص ص).

نوفل، يسري. (2014م). **المعايير النّصيّة في السّور القرآنيّة**. جامعة طنطا، مصر.

Arabic References in English

Abu Hayyan, Muhammad ibn Yusuf ibn Ali ibn Yusuf. (1420h). *Al bahr Al moheet* .investigation by: Sidqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr, Beirut.

Ahmed, Murshid. (2014). *Principles of literary analysis*. Al-Aseel press, Aleppo, I: 3.

Al-Ansari, Ibn Hisham.(1985). *Moghni al labeeb an kutub al earib*. investigation by: Mazen Al-Mubarak, and Muhammad Ali Hamdallah, Dar Al-Fikr, Damascus, I:6.

Al-damiati, Shihab Al-Din Ahmad ibn Muhammad. (1998*). Ethaaf fodalaa albashar fi Al-Qiraat Al-arbaata ashar*, annotated by: Anas Muhra, House of scientific books, Lebanon, I: 1.

Al-jurjani, Abdul-Qaher.(1983h). *Dalaa-il Al-I'jaaz*. investigation by: Mohammed Radwan Al-Dayah, and Fayez al-Dayah, Dar Qutaiba, I:1.

Al-jurjani, Ali bin Mohammed bin Ali. (2003). *Al-tarifaat*. investigation by: Mohammed Basil Oyoun Al-sudood, House of scientific books, Beirut, I: 2.

AL-Mahali, Jalal al-Din, and Jalal al-Din al-Suyuti. (2008). *Al-mofassal fe tafseer al Quran al kareem al mash-hor bitafseer aljalalain*. investigation by: Fakhr al-Din qabawa, library of Lebanon publishers, I:1.

Al-Mukhtar, Muhammad Al amin. (1980). *Adwaa albayan fe idah al Quran bel Quran* .Dar Elm Al-Fay'idah for publishing and distribution, Mecca, I:2.

Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad. (1964). *Al jame l ahkam al Quran (tafseer al-Qurtubi)* . investigation by: Ahmad Al-bardoni and Ibrahim atfishh, Egyptian House of books, Cairo, Vol. 2.

Al-Razi, Mohammed bin Omar Bin Al-Hassan. *(*1420h). *Mafateh al Ghaib*. the House of revival of Arab heritage, Beirut, I: 3.

Al-Suyuti, Jalal al-Din. (1974). *Al-Itqaan fi Oloom Al-Quraan*, investigation by: Mohammed Abu al-Fadl Ibrahim, Egyptian General Authority for the book.

Al-Suyuti, Jalal al-Din. (2004). *Lobab Al-Nqool fi Asbab Al-nozool*, Review and release by: Mohamed Mohamed Tamer, library of religious culture, Cairo.

Al-Zamakhshari. (1407h). *Al-kasshaf an haqaeq gawamed Al-tanzeel* .Arab Book House, Beirut, I: 3.

Al-Zamakhshari. (n.d). *Asas Al- Balaghah*. investigation by: Abdel Rahim Mahmoud, House of knowledge, Beirut.

Al-Zarkashi, Baha Al-Din. (1957). *Al-Burhaan fi Oloom AL-Qur'an*, Investigation by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, the House of revival of Arabic books Isa Al-Babi al-Halabi and his partners, I:1.

Darwish, Muhyiddin. (1415h*). Eraab Al-Quraan w bayaneh*. Dar Al-Irshad for university affairs, Syria, Dar Al-Yamama, Damascus and Beirut, Dar Ibn Kathir, Damascus and Beirut, I: 4.

De bougrand, Robert. (1998). *Text, discourse and process*. translation by: Tammam Hassan, the world of books, Cairo, I:1.

Elfeki, Sobhi Ibrahim. (2000). *Textual linguistics between theory and practice* .an applied study on the Meccan Sur, Dar Quba, Cairo, I: 1.

Ibn Ashur, Muhammad Al-Tahir ibn Muhammad Al-Tahir. (1984). *Al tahreer w al tanweer (tahreer Al maana Al sadeed w tanweer Al Aql Al jadeed mn tafseer Al kitab Al majeed)* .Tunisian publishing house, Tunisia.

Ibn khalawayh, al-Husayn ibn Ahmad. (1934). *Al-qiraat alshathhah*, published and corrected: G. Bergstrasser, al-Rahmanyah printing, Egypt, I: 1.

Ibn Manzoor. (1414h). *Lisan alarab*. Sadr House, Lebanon, I: 3.

Makram, Abdel Aal Salem. Umar, Ahmed Mukhtar. (1988). *Dictionary of Quranic readings with an introduction to the readings and the most famous reciters*. Kuwait University publications, I: 2.

Nofal, yusri. (2014). *Textual standards in the Quranic suras*. Tanta University, Egypt.

Qutob, Sayyed. (1412h). *Fi Thelal Al-Quran*. Dar Al-Shorouk, Beirut and Cairo. I: 17. 6/3973.

Shahin, Abdul Khaliq Farhan. (2012). *Osool Al maeer alnassyah fe al turath al naqdei w albalaghi ind al arab*. University of Kufa.

Sibuye. (1988). *Al-Ketaab*. investigation by: Abdel Salam Haroun, al-Khanji library, Cairo, I: 3.

English References

Crystal David. (2008). *Linguistics and Phonetics. Sixth Edition*. Blackwell Publishing. US. 81

Giffrre, Mauro. (2017). *Text Lingustic and Classic Studies*. Italy. University of Palermo.

Halliday M.A.K and Ruqayya Hassan. (1976). *Cohesten In English*. Longman. London. First published.